تأملات الدكتور إبراهيم السامرائي في الأبنية والأصوات في كتابه (من وحي القرآن) "القراءات الشاذّة أنموذجاً"

د. سناء طاهر محمد عثمان النفطجي
قسم اللغة العربية / كلية التربية
جامعة الموصل

القبول	الاستلام
٢٠١٠ / ٠٢ / ١٦	٢٠٠٩ / ٠٩ / ٠٢

ملخص البحث

الحمد لله رب العالمين مصرفُ الكائناتِ وخالقُها والصلاةُ والسلام على محمدٍ رسول اللهِ الصادقِ الأمين، وعلى آلهِ الطيبين الطاهرين، وأصحابه الأخيار وبعد...

فلقد أحسن قسم اللغةِ العربيةِ في كليةِ التربيةِ بجامعةِ سامراء صنعاً بتكريم هذا العالِمِ الفذّ والاحتفاءِ به وإنني لأشكر القائمين على هذه الندوة وعلى دعوتهم إيانا للمشاركةِ بهذه الندوة للاحتفاءِ والتكريم للسلفِ الصالح من علمائنا الأفذاذ العظام الذين نتتلمذ لهم ونغترفُ من علمِهم وننهلُ من فكرِهم وندين لهم بالفضل الحميمِ ومنهم الأستاذ الفاضل الدكتور إبراهيم السامرائي ابن سامراء التي شهدت نبوغَ كثيرٍ من العلماء.

والبحثُ الذي بين يدي القارئ (تأملاتُ السامرائي في الأبنية والأصوات) (القراءة الشاذة أنموذجاً) أردت من دراسته التعرفَ على جهدِ هذا العالِمِ الذي خدم الأمةَ بما أبدعته عبقريتُه الفذّة في علومٍ شتى، إذْ رفَدَ المكتبةَ العربيةَ بعشراتِ الكتبِ ومئاتِ المقالات والأبحاثِ وهي تغطي مجالاتٍ واسعةٍ في اللغةِ والأدبِ ومن الطبيعي أن تحظى الدراسات اللغويةُ بالنصيبِ الأوفر من جهدِ السامرائي بوصفها مجال تخصصهِ الرئيس وآثاره العلميةُ في مجملها تعطي مؤشراً واضحاً على تعددِ اهتماماتهِ وغزارةِ علمهِ وثقافتهِ الواسعة.

تقدم البحثُ بمقدمةٍ تناولت قضيةُ نزول القرآن على سبعةِ أحرفٍ، وعمليةُ جمع القرآن ونُزول القرآن بلسان قريش بعد أن أكد السامرائي صعوبةَ البتْ في هذا الأمر ووجد إن لغةَ

القرآن هي مزيج من اللهجاتِ المختلفةِ بدليل الألفاظِ المختلفةِ التي تعود لمختلفِ القبائل، ثم وقفَ البحثُ عند الصحيح والشاذ من القراءاتِ القرآنيةِ وأشار السامرائي إلى أن ما يدعى من القراءاتِ شاذ هو وجه قوي من القراءةِ جدير بالوقوفِ عنده والأخذِ به، وانحصر موقف السامرائي من القراءاتِ الشاذة في كتابي مختصر ابن خالويه ومحتسب ابن جني، ووجه القراءات توجيهاً ينم عن وعي لغوي ودراية.

وقد ظهرت في القراءاتِ الشاذةِ صور من الاستخدامِ اللغوي تُخالفُ القياس العام وتخالفُ المألوفَ والمعرفَ اللغوي، فكانت بحاجةٍ الى بيان قوةِ وجهِ العربيةِ فيها حتى تُعيد إلى القراءاتِ قوتها ومنزلتّها في اللغةِ القرآنية.

ومن هنا قسمت تأملات السامرائي من القراءاتِ الشاذةِ على وفِق محاور تمثلت في المحور الصوتي واشتمل على:

الإبدال – الإبدال الناجم من تشابه الرسم، تخفيف الهمزة – الإدغام، والإتباع الحركي – والمحور الصرفي: وتمثل بـ: التحويل في الصيغ الصرفية والقلب المكاني.

اسألُ الله أن يوفقنا لخدمةِ لغتنا الكريمة ويتقبلُ عملنا المتواضع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ABSTRACT

As Samurrai' s Meditations in the structures and Sounds (Irregular Recitations as a Sample).

The research deals with the revelation of Glorious Quran on Seven letters (recitations) of Qureish Arabic language and the process of Collecting it.

The research distinguishes between what is authentic and true and what is irregular Quranic recitahons .

The attitude of As Sarnurral regarding irregular recitations is shown in "MuKhtasar Ibnu Khalawaihi" and "Muhtasab Ibnu Jinni". The meditations of As Samurrai regarding irregular recitations is classified according to three axis, that is the phonetic axis which includes, Ibdal (replacemeut), replacement due to Similarity of graphic substance, takhfit (reduction) al hamza, Al-idgham (blending), Al Itbaa, Al Haraki (inflectional follow-up), Almihwar As Sarfi (inflectional axis) represented by transformations of inflectional forms and spatial exchange in addition to the description of irregular recitations as strange and anomalous.

بسم الله الرحمن الرحيم

تأملات الدكتور إبراهيم السامرائي في الأبنية والأصوات في كتابه (من وحي القرآن) "القراءات الشاذّة أنموذجاً"

الحمد لله رب العالمين مصرف الكائنات وخالقها والصلاة والسلام على محمد رسـول الله الصادق الأمين وعلى اله الطيبين الطاهرين وأصحابه الأخيار، وبعد... فلقد أحسن قـسم اللغة العربية في كلية التربية بجامعة سامراء صنعا بتكريم هذا العالم الفذ والاحتفاء به وانـي لأشكر القائمين على أمر هذه الندوة وعلى رأسهم السيد العميد والسيد رئـيس القـسم علـى دعوتهم إيانا للمشاركة بهذه الندوة للاحتفاء والتكريم للسلف الصالح من علمائنا الأفذاذ العظام الذين نتلمذ لهم ونغترف من علمهم وننهل من فكرهم وندين لهـم بالفـضل الحمـيم الأسـتاذ الفاضل الدكتور إبراهيم السامرائي ابن سامراء التي شهدت نبوغ كثير من العلماء. وما هـذا البحث إلا استجابة للدعوة الكريمة وهو بعض الوفاء ورد الجميل لمن خدم تراثنا وأرفد أجيال الأمة بما أبدعته عبقريته الفذة في علوم شتى ولاسيما علم الصوت والصرف والنحو والبلاغة والقراءات اذ رفد الأستاذ الدكتور إبراهيم السامرائي المكتبة العربية بعشرات الكتب ومئـات المقالات والأبحاث وهي تغطي مجالات واسعة من العلوم والمعارف في اللغة والأدب ومـن الطبيعي أن تحظى الدراسات اللغوية بالنصيب الأوفر من جهد الأستاذ الـسامرائي بوصـفها مجال تخصصه الرئيس وآثاره العلمية في مجملها تعطي مؤشراً واضحاً على تعدد اهتماماتـه وغزارة علمه وثقافته الواسعة، وأملي وطيد بانني سأقدم لمشتركي النـدوة وللقـارئ الكـريم صورة واضحة عن عبقرية هذا الرجل.

كتبت هذا الموضوع بعد قراءتي لكتاب من وحي القـرآن والوقـوف عنـد الأبنيـة والأصوات، لذا قسمت البحث إلى محاور تمثلت بالمحور الصوتي والمحور الصرفي، فـضلاً عن وصف القراءات الشاذة بالغرابة، وعلم السامرائي باللغات السامية.

أما المحور الأول (الصوتي) فاشتمل على الإبدال، والإبدال الناجم من تشابه الرسـم، وتخفيف الهمزة والإدغام – والإتباع الحركي في حين اشتمل المحور الثاني (الصرفي) علـى التحول في الصيغ الصرفية والقلب المكاني.

اسأل الله أن يوفقنا جميعا لخدمة لغتنا الكريمة لغة القرآن الكـريم، والإشـادة بجهـود علماء امتنا الأعلام، ويتقبل عملي المتواضع هذا خالصاً لوجهه الكريم فهو حسبي ورجائي.

المقدمة:

ما اهتمت امة من الأمم اهتمام المسلمين بحفظ كتابهم الكريم وذلـك مـصداق قولـه تعالى: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ (الحجر: ٩). حيث هيأ لكتابه الكـريم مـن

العلماء الإجلاء الذين اهتموا برواية سوره وآياته وكلماته وحروفه وسكناته. ما كانت تنزل منه سورة أو آية إلا عرفوا زمان نزولها ومكانه وسببه أن كان لها سبب. وكان الرسول (ﷺ) يقرئ أصحابه الكرام فمنهم من يحفظ شفاها ومنهم من يكتب، وكان بعضهم يبلغ بعضا، ولما كانت اللهجات العربية متباينة خفف الله عليهم بأن أنزل كتابه على سبعة أحرف فقرأه الجميع برواياته المتعددة، ونقل هذه القراءات الأصحاب وعنهم التابعون ومن تبعهم، فأخذ العلماء يختارون لأنفسهم قراءات من مجموع هذه الروايات ويؤلفون لهم قراءات عرفت بأسمائهم ونسبت إليهم.

وكان حديث رسول الله (ﷺ) المشهور في الأحرف السبعة "إن هذا القرآن أنزل على سبعةِ أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه"[1] وكثر الكلام في الأحرف السبعة وما تؤدي إليه. أشار الدكتور إبراهيم السامرائي إلى عملية جمع القرآن والتي أدت إلى المصحف العثماني، فقد ظل مصحف عبد الله بن مسعود ومصحف أبي بن كعب، وأبي عبد الله بن مسعود أن يحرف مصحفه أول الأمر، وحمل على مصحف عثمان وعرض بزيد بن ثابت الذي كان في صلب أبيه حين اعتنق الإسلام وان زيدا كان يلعب مع الصبية حين كان هو يحفظ بعضا وسبعين سورةً أخذها كلها من فم رسول الله (ﷺ)، ومن الطبيعي أن يكون في مصحف أبي مسعود ومصحف أبي بن كعب من القراءات المختلفة غير أن العملية تمت واحرق ابن مسعود مصحفه وكتب لمصحف عثمان السيرورة، غير أن شيئا لم تقض عليه عملية المصحف العثماني وهو القراءات الكثيرة.

وذكر الأستاذ السامرائي[2] رأياً مفاده أن المعنيين بالدراسات القرآنية يذكرون أن القرآن جاء بلسان قريش، وهذه مقولة لا تجد لها مكاناً واضحاً يحققه البحث العلمي.

وارى أن ما ذهب إليه صحيح لان هذا الموضوع كان مثار جدل إذ اختلفت الآراء في نسبة لغة قريش إلى القرآن الكريم[3].

ومن الصعوبة البت بصحة الآراء التي قيلت، فاللغة التي نزل بها القرآن هي مزيج اللهجات المختلفة بدليل الألفاظ المختلفة التي تعود لمختلف القبائل، ويمكن الاستدلال على ذلك بـ" الأحاديث التي رويت عن بعض الصحابة تفيد أن القرآن نزل بلغة قريش وغيرها.

أن اختلاف الروايات واللهجات العربية قد ترتب عليه تعدد القراءات مما جعل العلماء يضعون شروطاً عرفت لمعرفة القراءة الصحيحة صارت فيما بعد واقعة تحت ضوابط لها

(1) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٢١/٩، ونقل ابن الجزري ابن أبا عبيد بن سلام نص على تواتره. النشر في القراءات العشر ٢١/١.

(2) ينظر: من وحي القرآن، ٢٥

(3) ينظر: لهجات العرب في القران الكريم (دراسة استقرائية تحليلية) عبد الله عبد الناصر خيري ١٩١-٢٠٣.

فقسمها العلماء وجعلوا ما يقبل من القراءات ثلاثة أقسام. قسم يقرأ به اليوم وذلك ما أجتمع فيه ثلاث:

١. أن تنقل عن الثقات إلى النبي (ﷺ) أي صحيحة الإسناد، لان القراءة سنّة متّبعة.
٢. أن يكون وجهها في العربية التي نزل بها القرآن سائغاً ولو بوجه.
٣. أن يكون موافقا لخط المصحف ولو احتمالاً.

والقسم الثاني ما صح نقله من الآحاد وصح وجهه في العربية وخالف لفظ المصحف.

والقسم الثالث وهو ما نقله غير ثقة ولا وجه له في العربية فهذا لا يقبل وان وافق خط المصحف. لذلك اشترط العلماء للقراءة الصحيحة التي يقرأ بها:

١. صحة السند بالقراءة إلى رسول الله (ﷺ) متواترة من أول السند إلى آخره.
٢. موافقة القراءة رسم المصحف العثماني.
٣. موافقتها وجهاً من وجوه العربية مجمعاً عليه أو مختلفا فيه اختلافا لا يضر مثله[1].

الصحيح والشاذ من القراءات القرآنية:

القراءة الصحيحة ما ثبتت روايتها عن الرسول (ﷺ) ووافقت رسم المصحف ووافقت العربية، هذه هي الأمور التي دارت عليها صحة القراءة منذ عهد مبكر وأن تفاوتت عبـارات السلف فيها[2] فابن مجاهد هل يعد كل قراءة عدا القراءات السبع التي اختارها شـاذة؟ ومـا مفهوم الشذوذ عنده؟

ذكر ابن مجاهد السبب الذي دعاه إلى تأليف كتابه، ونقلنا عنه هذا آنفا ثم قال: "فهؤلاء سبعة نفر من أهل الحجاز والعراق والشام خالفوا في القراءة التابعين وأجمعت على قـراءتهم العوام من أهل كل مصر من هذه الأمصار التي سميت وغيرها من البلدان التي تقرب من هذه الأمصار الا أن يستحسن رجل لنفسه حرفا شاذاً فيقرأ به من الحروف التي رويت عن بعض الأوائل منفردة فذلك غير داخل في قراءة العوام ولا ينبغي لذي لب أن يتجاوز ما مضت عليه الأئمة والسلف بوجه يراه جائزا في العربية أو قرأ به قارئ غير مجمع عليه"[3] وألـف ابـن جني كتابه المحتسب قال في مقدمته: "أن القرآن الكريم انتظم لغات العرب، وان القراءات فيه جاءت على ضربين: الأول اجتمع عليه أكثر قراء الأمصار وهو ما أودعه ابن مجاهـد فـي كتابه السبعة... الثاني: سماه أهل زماننا شاذا أي خارجاً عن قراءة القراء السبعة... الا انه مع

(1) ينظر: اللهجات العربية في القراءات القرآنية د. عبده ألراجحي ٩١، والقراءات القرآنية بـين الـدرس الصوتي القديم والحديث: مي فاضل الجبوري ٩.
(2) ينظر: إيضاح الوقف والابتداء، أبو بكر الانباري ٣١١/١.
(3) كتاب السبعة: ابن مجاهد، ٧٨.

خروجه عنها نازع بالثقة إلى قرائه محفوف بالروايات من أمامه وورائه... وغرضنا منه أن نرى وجه قوة ما سمى ألان شاذاً، وانه ضارب في الرواية بجرأته... فإننا نعتقد قوة هذا المسمى شاذاً... وكأن من مضى من أصحابنا لم يضعوا للحجاج كتاباً فيه"[١].

ومن مجيء هذين القولين استنبط الدكتور شوقي ضيف، أن ابن مجاهد وابن جني حين يطلقان لفظة الشذوذ إنما يقصدان هذه القراءات تأتي بعد السبعة في الترتيب ولا تعني الضعف. فالدكتور شوقي ضيف سوى بين وجهتي نظر ابن مجاهد وابن جني إلى الشذوذ من وجهة القلة والكثرة وهذا إلى حد ما صحيح ولكن ليس على أطلاقه لان ابن مجاهد نص على أن ما وراء السبعة وحرض على تركها[٢].

وعلق الدكتور السامرائي[٣] على ما استنتجه ابن جني في مقدمة المحتسب من ان ما يدعى من القراءات شاذا هو وجه قوي من القراءة وهو جدير الوقوف عنده والأخذ به على انه معبر عن طريقة في الأداء لجماعة من الناس. وان أصحاب هذه الشواذ من ثقاة العلماء رواية ودراية، كما أن ابن جني كان لغوياً ضليعاً ولهذا ينظر إلى الدقائق اللغوية في القراءة ولا يتجنب الوقوف على كل وجه من وجوه هذه الألوان الشاذة لاشتمالها على حقائق لغوية تتصل بلغة الناس. وأيد السامرائي هذا الكلام بالباب الذي عقده ابن جني في الخصائص عن (اختلاف اللغات وكلها حجة) تكلم فيه على اللغات والمفاضلة بينها، كما أشار السامرائي كذلك إلى أن القراءات الشاذة يستدل بها على أن العربية لم تكتمل في لونها الفصيح الموروث إلا بعد زمان طويل من ظهور الإسلام وبعد عمل جاد من اللغويين والنحاة يدفعهم إلى ذلك حرص الحاكمين على الحفاظ على نمط عال من الفصاحة جمع من قبائل معينة فاستحسنت لغات قبائل أخرى. كما استبعدت لغات قبائل أخرى[٤].

وذكر السامرائي[٥] أن اللغويين اهتموا باللغات التي استبعدوا الأخذ منها وراحوا يسجلون نماذج هذه اللغات وخصائصها وكتبوا فيها المصنفات من أمثال كتب لحن العامة المنسوب للكسائي والفراء وإصلاح المنطق لابن السكيت وتثقيف اللسان وتنقيح الجنان للصقلي وتقويم اللسان لابن الجوزي. وبعودتنا إلى القراءات نجد فيها من عناصر هذه اللغات المستبعدة ولهذا واجه النحاة اللغويون نماذج من القراءات بحيرة وهذا مما ألجأهم إلى التأويل

(1) المحتسب ١/٣٢- ٣٣.

(2) ينظر: القراءات القرآنية عند ابن جني (بحث): د. جايد زيدان الندوة المتخصصة الأولى (أبو الفتح عثمان بن جني) ١٩٨٩ – جامعة الموصل – كلية التربية - قسم اللغة العربية ص ٤-٥.

(3) من وحي القرآن ٣٢.

(4) من وحي القرآن ٣٢-٣٣.

(5) م. ن. ٣٤.

فلجأ السامرائي إلى اختيار ألوان من القراءات الشاذة وكشف ما فيها من غرائـب وشـذرات لغوية.

وأما غالب موقفه من القراءات الشاذة إن كان له وجه عنده من لغة أو نحو أو صرف فانه يورد القراءة التي ذكرها ابن خالويه في مختصره أو ابن جني في المحتسب ثـم يوجـه القراءة توجيهاً ينم عن وعي لغوي وعلم ودراية كأن يوصف القراءة الشاذة بالفصاحة وهذا ما جاء عند وقوفه على شواذ سورة الفاتحة من مختصر ابن خالويه: "ذكر الخليل بن احمد فـي العين[1] أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ﷺ) كان يقرأ (وإياك نستعين) يشبع الضمة في النون وكان عربيا قلبا أي محضا، قال ابن خالويه: وقد روي عن ورش انـه كـان يقرؤهـا كذلك"[2].

وقف السامرائي على تعليق الخليل على قراءة علي بن أبي طالب (ﷺ) التي اشبع فيها نون (نستعين) وقال: "كأن الخليل أراد أن يقول أن ما عدّ شاذا من وجوه القراءة هو عربـي فصيح جرى على لسان أفصح الناس بعد رسول الله (ﷺ) وهو علي بن أبي طالب، وهنا تبطل حجة المتنقصين من القراءات الشاذة"[3].

كما وقف السامرائي عند قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ﴾ (البقرة: 55)، وذكـر أن ما أورده ابن خالويه في مختصره[4] عن قراءة علي بن أبي طالب وهو اعلم الناس بكتاب الله ذو قيمة تاريخية مهمة - ثم أن خروج هذه القراءة العالية كما هو معـروف مـن القـراءات المشهورة يفيد فائدة كبيرة في أن ما حمل على الشواذ ذو قيمة كبيرة"[5].

موقف السامرائي من القراءات الشاذة:

اتضح موقف السامرائي من كثير من القراءات الشاذة لعلمه وسعة اطلاعـه وتذوقـه بحيث حكم على كثير من القراءات ووصفها بالغرابة لأنها خرجت عـن المـألوف والقيـاس الصحيح وعدها من لحن العامة ومن أمثلة ذلك قولـه تعـالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ ﴾ (البقرة: ٣٤).

وأورد ما ذكره ابن خالويه في مختصره اذ قرأ أبو جعفر (الملائكةُ) بضم التاء فكـأن حرف الجر لا عمل له، وعلق السامرائي على هذه القراءة بقوله: "وهو أمر غريب"[6] وربمـا

(1) لم أعثر على النص في العين.
(2) مختصر في شواذ القراءات: ابن خالويه ١.
(3) من وحي القرآن ٣٦.
(4) ص ٥.
(5) من وحي القرآن ٤١.
(6) م. ن ٤٠.

تأثر السامرائي برأي ابن جني في المحتسب[1] اذ يقسو ابن جني علـى القـراءة أو القـارئ ويصف قراءته بالضعف أو الغلط اذ قال عن هذه القراءة "هذا مذهب ضعيف جدا وذلـك ان الملائكة مجرورة ولا يجوز أن يكون حذف همزة اسجدوا وأبقى حركتها على الهاء..."

ويبدا لنا أن موقف ابن جني ورده القراءة وتضعيفها وتغليطها جاء من أخذه بالا قـيس في العربية والافشى في اللغة.

كما وقف السامرائي عند قوله تعالى: ﴿ فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (الأنفال: ٥٧)، أورد السامرائي ما ذكره ابن خالويه في مختصره قـراءة ابن مسعود (فشرذ) بالذال وهي قراءة غريبة اذ لا معنى له (شرذ) بالذال المعجمة ولـم تـؤد معنى (شرد) بالدال المهملة إلا أن تكون مأخوذة من لسان هذيل وهذا ما أيده ابن جني إذ قال: لم يمرر بنا في اللغة تركيب (ش ر ذ) وأوجه ما يصرف أليه ذلك أن تكون الذال بـدلا مـن الدال، كما قالوا كم خرادل وخراذل، والمعنى الجامع لهما أنهما مجهوران ومتقاربان"[٢] ولكن السامرائي رغم هذا يؤكد على قيمة القراءة التاريخية لما نعرف مـن مكانـة ابـن مـسعود واهتمامه بالقراءة وسماعه عن رسول الله (ﷺ)[٣].

ووقف كذلك عند شواذ سورة يونس من مختصر ابن خالويه، قال تعـالى: ﴿ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا ﴾ (يونس: ٢٤)، نقل السامرائي قراءة (وازيأنت)[٤] وهو من الغرائب لبعد الأصل (زين) عن (زان) التي لا وجود لها في العربية إلا في هذه القراءة[5].

أما بالنسبة للقراءات الشاذة المنسوبة إلى المشترك السامي فقد كان السامرائي علماً من الأعلام له دراية باللغات السامية اذ انه نسب كثيراً من القراءات الشاذة إلى المشترك الـسامي ومن أمثلة ذلك، قوله تعالى: ﴿ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ ﴾ (الحج: ٤٠) ينقل السامرائي مـا ذكره ابن خالويه في مختصره من القراءات الشاذة في هذه الآية وعدها إحدى عشرة قـراءة صلوات وصلُوات وقرأها أبو العالية والكلبي والضحاك (صلْوات) وقرأها جعفر بـن محمـد (وصلُوت) وقرأها الجحدري (وصلوب) بالباء وقرأها الحجاج والجحدري - وصلْوات بإسكان اللام وقراها أبو العالية أيضاً، وصِلوات وقرأها الجحدري وصلواث بالثاء وقرأها الجحـدري أيضاً وصلونا وقرأها مجاهد وصلْوات...)

(1) المحتسب ١/٢٤٠ – ٢٤١.
(2) م. ن ١/٢٨٠.
(3) من وحي القرآن ٤٨.
(4) قراءة أبي عثمان ألنهدي، ينظر: الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري ١٤٨.
(5) من وحي القرآن ٥٥.

علق السامرائي على هذه القراءات بقوله: "أن هذه الكلمة من المشترك السامي فهي في العبرانية والارامية وفي غيرها من اللغات السامية، وأما الاختلاف في ضبطها بالحركات القصيرة والطويلة فهو شيء يرجع إلى اختلاف اللغات وان الاختلاف في رواتبها بالثا أو التاء فذلك شيء يتصل بالأصل السامي وما يحدث بين التاء والثاء فيها من إبدال، الا أن الغريب الذي لا أفهمه هو مجيئها في قراءتها بالباء وما أظنها إلا من باب السهو والخطأ اذ لا وجود لهذا الأصل في الصور السامية للكلمة[١].

هذه هي وقفة السامرائي وتأملاته في القراءات الشاذة فقد كان لهذا العالم الكبير إسهام في علم اللغة ولم يستطع هذا البحث إلا الكشف عن بعض الآراء، لذا أجد أن السامرائي لابد أن يوفّى حِقّه بتأليف كتاب أو رسالة تستوفي ما دق من آرائه، فكانت جولة نافعة في تأملات السامرائي الناجمة عن علم واجتهاد نافع في ماك دقيق وجليل ونظر ثاقب بعيد.

الإبدال بين الحروف

ويراد به إقامة حرف مكان حرف آخر في موضعه[٢] لوجود علاقة صوتية بين الحرفين المبدلين[٣] فالإبدال ايا كان نوعه صرفياً أم لغويا نجد فيه التعامل الصوتي (التماثل) تأثراً وتأثيراً بين الأصوات المتجاورة أو بين الصوتين المتبادلين فهو عملية تأثيرية صوتية لا يمكن الانفلات منه في مرحلة من المراحل سواء أ كان متجهاً نحو الأسهل صوتيا أم الأصعب، أي أن تقارب المخرج أو الصفة يقف وراء حدوث هذه الظاهرة.

والغرض من الإبدال "التقريب بين الصوتين المتجاورين تيسيراً لعملية النطق واقتصاداً في الجهد العضلي"[٤]. وقد جاء الإبدال الحرفي في مواضع اختارها السامرائي من مختصر ابن خالويه والمحتسب لابن جني.

ويمكن تقسيم الحروف المبدلة على أقسام منها:

١. الإبدال بين الحروف المتقاربة في المخرج، ويراد بها "الحروف التي من مخرجين مختلفين ولكن موضعيهما في النطق متقاربان"[٥]، وقد ورد عند السامرائي في مواضع منها:

أ. الثاء والفاء:

---

(1) م. ن ٥٢.

(2) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش ٧/١٠، والتعريفات: الجرجاني ٧.

(3) من أسرار اللغة: إبراهيم أنيس ٧٥.

(4) اللهجات العربية في التراث: احمد علم الدين الجندي ٣٤٩/١، وينظر: لهجة قبيلة أسد: علي ناصر غالب ٨٧.

(5) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني: حسام سعيد النعيمي ٩٨.

من مظاهر الإبدال في العربية إبدالُ الثاء فاء والذي يفسر هذا مجيء كثير من الألفاظ وقعت فيها الفاء محل الثاء وهي مما يمكن ان تنسب الى لغة دون أخرى والذي سوغ هذا الإبدال أنهما متقاربان في المخرج ومتفقان في الصفة، فالثاء صوت مهموس رخو مخرجه مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا(١).

والفاء كذلك صوت مهموس رخو إلا أن مخرجه من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا(٢).

ومن أمثلة ما ذكره السامرائي(٣) من مختصر ابن خالويه قراءة ابن مسعود وابن عباس (وثومها) في قوله تعالى: ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ (البقرة: ٦١).

علقّ السامرائي على هذه القراءة بعد تأمله للآية ومعناها قائلاً: " من هنا نعرف أن المسالة الصوتية حولت (الثوم) إلى (فوم) وذلك للقرابة الصوتية في أن من عناصر حيز الثاء والفاء هو الشفة، وإذا عرفنا هذه المسالة الصوتية أدركنا أن تفسير (الفوم) بـ(الحنطة) كما ورد في كتب المفسرين خطأ محض وقد ذكر الزمخشري في الكشاف(٤) قراءة ابن مسعود واخذ بها فقال: والثوم للعدس والبصل في الآية أوفق"(٥).

اختلاف القدماء في لفظتي الفوم والثوم وأول الآراء التي قيلت في هذا الإبدال ما نص عليه الفراء في معاني القرآن: "فان الفوم فيما ذكر لغة قديمة وهي الحنطة والخبز جميعاً قد ذكرا قال بعضهم: سمعنا العرب من أهل هذه اللغة يقولون: فوموا لنا بالتشديد لاغير يريدون: اختبزوا"(٦) وتابعه الزجاج في هذا الرأي وعلل ذلك بقوله: "محال أن يطلب القوم طعاماً لابر فيهِ والبر أصل الغذاء كله، ويقال: فوموا لنا، أي اخبزوا لنا، ولا خلاف عن أهل اللغة أن الفوم الحنطة، وسائر الحبوب التي تخبز يلحقها اسم الفوم"(٧).

ولابن جنّي رأيان في هذه اللفظة اعني الفوم الأول ما ذكره في كتاب سر صناعة الأعراب عندما قال: "الفوم الحنطة... يقال: فومتُ الخبز أي خبزته، وليست الفاء على هذا بدلاً من الثاء"(٨).

---

(1) ينظر: الكتاب ٤/٤٣٣-٤٣٥، وسر صناعة الأعراب ١/٥٣، ٦٩، ٧٠.
(2) ينظر: الكتاب ٤/٤٣٣-٤٣٥.
(3) من وحي القرآن ٤١.
(4) ١/١٣٦.
(5) من وحي القرآن ٤١.
(6) ١/٤١.
(7) معاني القرآن وإعرابه ١/١٤٣.
(8) سر صناعة الإعراب ١/٢٥٢.

والثاني ذكره في المحتسب ما نصه: "الثوم والفوم بمعنـى واحـد كقـولهم: جـدثَ وجدف... فالفاء بدل فيها جميعاً"[1]. وقد رجح الدكتور حسام سعيد النعيمي الرأي الثاني الذي يذهب إلى أن الفاء بدلا من الثاء على أساس أن المحتسب ألف بعد سر صناعة الأعراب فكان الكتاب المتأخر هو المعتمد بالإبدال[2]. وهذا هو الرأي الاصوب إذ إن قـراءة عبـد الله بـن مسعود (ثومها) تميل إلى لهجة تميم في قراءته[3].

وما يؤكد ذلك الإبدال في لغة تميم "أن الثوم في العبريـة Sum (شـوم) وبالآراميـة Tuma (توما) بالشين والتاء الناشئتين عن الثاء[4] وحقيقة ذلك ان في بعض لهجات العـرب كانت الثاء تنطق فاء في كل الكلمات التي وقعت فيها مثل لهجة (القطيف) من لهجات الجزيرة العربية إذ كان الناس يقول هناك مثلاً: فعاب في ثعاب. فإبدال الثاء بالفاء فـي تلـك اللهجـة مطّرد غير ان سائر العرب استعاروا النطق بالفاء بدل الثاء في قليل مـن الكلمـات فيظهـر عندهم اتفاقياً[5].

ب. الصاد والضاد:

الصاد والضاد صوتان اتفقا في الرخاوة والاطباق[6] واختلفا في الجهر والهمس، إذ أن الصاد صوت مهموس والضاد صوت مجهور[7] كما إنهما تقاربا في مخرجيهما فمخرج الصاد "مما بين أول حافة اللسان وفويق الثنايا[8] ومخرج الضاد من بين طرف اللسان وما يليها مـن الأضراس[9]. ومن اجل هذا جاز الإبدال بين هذين الصوتين. أما السامرائي[10] فقد وقف عند ابن خالويه في مختصره عند قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمۡ يَنقُصُوكُمۡ شَيۡـٔٗا﴾ (التوبة: ٤)، وأورد قـراءة عطاء بن يسار "ثم لم ينقضوكم شيئاً" بالضاد المعجمة، ووجه هذه القراءة بقوله: "قـد يكـون للقرابة الصوتية بين صوتي الصاد والضاد أثر في ذلك فالصاد صوت أسناني لثوي مهمـوس مفخم، والضاد صوت أسناني لثوي شديد مجهور مفخم"[11].

(1) المحتسب ٨٨/١، وينظر: الخصائص ٨٤/٢.
(2) ينظر: الدراسات اللهجية والصوتية ١٤٦.
(3) لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة: غالب فاضل ألمطلبي ١١٢.
(4) التطور النحوي للغة العربية: برجشتراسر ٣٧.
(5) م. ن: ٣٨.
(6) ينظر: الكتاب ٤٣٤/٤، شرح شافية ابن الحاجب: الرضي الاستربادي ٢٥٧/١.
(7) الكتاب ٤٣٣/٤، وينظر: سر صناعة الإعراب ٥٣/١.
(8) الكتاب ٤٣٣/٤، وينظر: شرح الرضي على الشافية ٢٥٠/٣.
(9) من وحي القرآن ٤٩.
(10) م. ن.
(11) م. ن.

وأشار السامرائي[1] إلى الإبدال بين الصاد والضاد في قوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ (طه: ٩٦). وتنسب قراءة (حضب) بالضاد المفتوحة إلى ابن عباس ومحمد بن الشفيع اليماني وروي عنهما (حضب) بالسكون. أما الحضب بالضاد المفتوحة وكذلك بالصاد غير المعجمة فكلاهما الحطب ففيه ثلاث لغات: حطَب وحضب وحصب، وإنما يقال: حصب إذا القي في التنور والموقِد فاما مالم يستعمل فلا يقال له: حصب[٢].

قال النسفي:" القبضة المرة من القبض... وقرئ فقبصتُ قبصةً، فالضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع"[٣] وقد جاء هذا المعنى عند ابن جني في قوله: "القبض بالضاد معجمة باليد كلها، وبالصاد غير معجمة بأطراف الأصابع وهذا ما قدمت إليك في نحوه تقارب الألفاظ لتقارب المعاني، وذلك أن الضاد لتفشيها واستطالة مخرجها ما جعلت عبارة عن الأكثر، والصاد لصفائها وانحصار مخرجها وضيق محلها ما جعلت عبارة عن الأقل"[٤].

وأشار السامرائي[5] كذلك إلى هذا النوع من الإبدال حاصل في (حصب جهنم) و(حضب جهنم).

ووقف السجستاني عند قوله تعالى: ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ (الأنبياء: ٩٨). وأشار إلى أن "حصب جهنم" يعني "حطب جهنم كل شي ألقيته في النار فقد حصبتها به، ويقال: حصب جهنم حطَب جهنم بالحبشية، قوله بالحبشية إن كان أراد أن هذه الكلمة حبشية وعربية بلفظ واحد فهو وجه أو أراد أنها حبشية الأصل سمعتها العرب فصارت عربية حينئذ فذلك وجه أيضاً، وإلا فليس في القرآن غير العربية"[٦] فالحصب والحطب لفظتان متقاربتان صوتاً ومعنى فكلاهما من الأرض وتلك من معانيها الحصى ولشدة تقارب اللفظين في أصواتهما ومعنييهما ظن انهما مبدلان[٧] وأوهم بأنهما مترادفان[٨] ولكن نبه إلى أنهما قد يكونان من باب التصاقب.

كما أشار إلى القراءة الأخرى (حضب) بالضاد المعجمة "وهو ما هيجت به النار وأوقدت"[٩].

---

(1) من وحي القرآن ٤٩.
(2) القراءات القرآنية الشاذة في غريب القرآن (بحث) ص٤٥.
(3) تفسير النسفي، وهي قراءة الحسن البصري ٩٨/٣، ينظر: مختصر في شواذ القراءات ٨٩.
(4) المحتسب ٥٥/٢، وينظر: المباحث الصوتية والصرفية في تفسير النسفي (رسالة ماجستير) سراج على عبيد ٨٤.
(5) من وحي القرآن ٤٩.
(6) القراءات القرآنية الشاذة في غريب القرآن للسجستاني (بحث) ص٤٥.
(7) ينظر: الابدال: أبو الطيب ٢٥٥/٢.
(8) ينظر: الترادف في القرآن ٢٣٩.
(9) القراءات القرآنية الشاذة في غريب القرآن للسجستاني (بحث) ص ٤٥.

ومن أمثلة ما ذكره السامرائي من إبدال بين الأصوات يسوغه القرابة الصوتية في الحيز والمخرج، ما أورده ابن خالويه في مختصره من شواذ سورة المزمل قوله تعالى: "﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ ﴾ (المزمل: ٧). أورد قراءة يحيى بن يعمر (سبخاً) بالخاء المعجمة، تأمل السامرائي هذه القراءة وعللها ووقف عند اختلاف الدلالة لاختلاف القراءة قائلاً: "وهذا الإبدال تسوغّه القرابة الصوتية في الحيز والمخرج إلاّ أن خرقاً كبيراً في الدلالة بين القراءتين فالسبخ يعني النوم، والسبح يعني الفراغ والتصرف والاضطراب والجيئة والذهاب"(١).

كما أشار السجستاني إلى دلالة معنى قراءة يحيى بن يعمر (سبخاً) "خفة من التكاليف والتسبيخ: التحقيق وهو استعارة من سبخ الصوف وهو نفشه ونشر أجزائه لانتشار الهمم وتفرق القلب بالشواغل وقيل فراغاً وسعة لنومك وتصرفك في حوائجك، وقيل: أن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه، وقال الأصمعي: سبخَ الله عنك الحمى، أي خففّها، وقيل: السبخ: المد يقال: سبخي قطنك أي مديه، ويقال لقطع القطن: سبائخ، الواحدة سبيخة"(٢).

الإبدال بين الحروف المتجاورة في المخرج الواحد.

يتمثل هذا الإبدال في العين والغين اذ مخرج العين من وسط الحلق أما الغين فمخرجها من أدناه فهما متجاوران في المخرج ألا أنهما على هذا التجاور لم يقع من الإبدال ما يستحق الوقوف عنده فقد ذكر ابن جني أن العرب تقول لعنّي ولغنّي في لعل وحكم بأن الغين بدل من العين "لسعة العين في الكلام وكثرتها في هذا المعنى"(٣) ولم يعلل الإبدال هنا واضح ومن أمثلة ذلك ما أورده السامرائي من مختصر ابن خالويه قوله تعالى: ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٧﴾ ﴾ (البقرة: ٧).

ذكر السامرائي(٤) ما جاء في مختصر ابن خالويه بكسر الغين مع الرفع في قراءة الحسن، وقد وردت منصوبة في قراءة عاصم وهي (غُشْوَةً) على فُعلَة بضم الغين مع النصب وهي قراءة سفيان وأبي رجاء، وهي غَشاوةً بفتح الغين مع النصب في قراءة الحسن أيضاً وهي "عشاوة" بالعين المهملة المفتوحة مع الرفع وهي قراءة طاووس ويبدو من قراءة الحسن انه آثر الفتح على سواه في الجانب الإعرابي فضلاً عن البنية الصرفية للمفردات سواء كانت هذه المفردات معربة أم مبنية(٥).

(1) من وحي القرآن ٥٤.
(2) القراءات القرآنية الشاذة في غريب القرآن للسجستاني ٤٦، وينظر: معاني القرآن: الفراء ١٩٩/٣.
(3) سر الصناعة ٢١٥/١.
(4) من وحي القرآن ٣٨.
(5) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: د. صاحب ابو جناح ٨٨.

أما ما يتعلق بالسامرائي فعلّق على غشاوة وعشاوة بأنهما من الإبدال الصوتي إذ قال: "وبين صوتي الغين والعين إبدال كثير في آي القرآن وفي العربية مادة كبيرة من هذا الباب ووجه القول فيها أن مسوغ هذا الإبدال الصوتي قرب مخرجي العين والغين"[1]. وقد لمح الفراء في دلالة الصيغتين (غِشاوة) و(غَشْوة) أن احدهما اسم والأخرى اسم مرة قال: وكأن (غشاوة) اسم وكأن (غشوة) شيء غشيها في وقعة واحدة مثل: الرجفة والرحمة والمرة"[2].

ويبدو أن ابن خالويه جعل الغِشاوة كالولاية والكفاية[3] أو هما لغتان بمعنى الغطاء عند مكي[4] وأشهر الوجوه الكسر لان كل ما كان مشتملاً على الشئ في كلام العرب فهو مبني على فِعالة نحو القلادة والعِمامة[5].

ومن ذلك الإبدال: قوله تعالى: ﴿ نَفۡقِدُ صُوَاعَ ٱلۡمَلِكِ ﴾ (يوسف: ٧٢).

أورد السامرائي[6] ما ذكره ابن خالويه من قراءات وجهها توجيهاً قائماً على الإبدال، فأورد قراء أبي هريرة وجماعة (صاع الملك) فصواع وصاع واحد. والقراءة مقبولة ومفهومة وأورد قراءة يحيى بن معمر (صوغَ الملك) بالغين المعجمة وذهب السجستاني[7] إلى انه كان مصوغاً فسماه بالمصدر، وقرأ سعيد بن جبير صواغ بضم الصاد والغين المهملة والغين المعجمة وقال السامرائي وقد تكلمنا على الإبدال الصوتي بين العين المهملة والغين المعجمة"[8].

الإبدال الناجم من تشابه الرسم:

وجه السامرائي القراءات الشاذة التي قد توهم بالإبدال بين الأصوات إلى أنها من تشابه الرسم ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌ ﴾ (الأعراف: ١٤٨) ونقل قراءة أبو السمال (له جؤار) بالجيم والهمز.

علق السامرائي قائلاً "وهذه من المسائل التي يظن أنها ترجع إلى تشابه الرسم بين الجيم والخاء في العربية إذ لا قرابة صوتية بين الصوتين في المخرج والحيز والصفة[9].

(1) من وحي القرآن ٣٨.
(2) التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القرآن: د. طه صالح امين ٢٣١.
(3) ينظر: الحجة ٣٢٦.
(4) ينظر: الكشف ٢/٢٦٩.
(5) ينظر: اعراب القرآن: النحاس ١/١٨٦.
(6) من وحي القرآن ٥٠.
(7) ينظر: القراءات القرآنية الشاذة في غريب القرآن (بحث) ص٤٦.
(8) من وحي القرآن ٥٠.
(9) الجيم حرف مجهور، والخاء حرف مهموس. ينظر: سر صناعة الاعراب ١/١٦١، ١٦٩.

وقد يقال أن الجؤار في قراءة أبي السمال يدل على الصوت فهو من المصادر التي تفيد الأصوات كالصراخ والنباح وغيرها وقد اعتمد الجوهري على القراءة فذكر أن الجؤار مثل الخوار، جأر الثور والبقرة يجأر جؤاراً: صاح، وخار يخُور خواراً بمعنى واحد: أن أكثر القراء قرأوا (خوارا) بالخاء الفوقية"[1].

ووضح السامرائي هذا الكلام قائلاً: "والذي دعاني إلى هذا الإيضاح والاستدراك أن الجؤار بالجيم هو ليس من الأصوات الخاصة بحيوان معين في حين أن الخوار بالخاء من الأصوات الخاصة بالحيوان المعروف لقد انصرف الجؤار بالجيم عامة فقد جاء في لسان العرب[2]: جأر يجأر جأرا جؤارا: رفع صوته مع تضرع واستغاثة وفي التنزيل: ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾ (المؤمنون: ٦٤)، وقال ثعلب: هو رفع الصوت بالدعاء. وجار الرجل إلى الله إذا تضرع بالدعاء، وفي الحديث كأني انظر إلى موسى له جؤار إلى ربه بالتلبية[3].

ووقف السامرائي عند قوله تعالى: "﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا﴾ (الأعراف: ٥٧)". وأورد ما جاء في المحتسب[4] من قراءات شاذة إذ قال: "قرأ الحسن وقتادة وأبو رجاء والجحدري وسهل بن شعيب: (نُشرا) بضم النون وجزم الشين، وتوجد قراءات عدة كلها بالياء مع خلاف في الضبط. كما قرأ مسروق "نَشَراً" وعلّق ابن جني معللاً كل قراءة فقال: (نُشرا) أنها تخفيف (نُشُر) بضمتين وهي قراءة (العامة) والنشر جمع نشور لأنها تنشر السحاب وتستدره والتثقيل أفصح لأنه لغة الحجازيين، والتخفيف في نحو ذلك لتميم وهذه إشارة واضحة إلى اللغات التي اعتمدت عليها القراءات ثم أن قوله قراءة العامة يشير إلى أن للعامة نمطا يبتعد كثيراً أو قليلا عن القراءات الفصيحة المشهورة، ثم الا يجوز أن تكون هذه القراءات قد تولدت من تشابه الرسم"[5].

كما علل ابن خالويه هذا بقوله: "(بشرا) يقرأ بالنون والباء وبضم الشين واسكانها فالحجة لمن قرأه بالنون وضم الشين انه جعله جمعا لريح (نشور) كما تقول: امرأة صبور ونساء صبر، والحجةُ لمن فتح النون واسكن الشين انه جعله مصدراً ودليله قوله: (والناشرات نشرا) وهي الرياح التي تهب من كل وجه لجمع السحاب الممطرة. والحجة لمن قرأه بالباء في ضم الشين: انه جعله جمع ريح بشُور وهي التي تبشّر بالمطر ودليله قوله تعالى "﴿ٱلرِّيَاحَ

(1) من وحي القرآن ٤٧.

(2) ١٠٥/٣.

(3) من وحي القرآن ٤٧.

(4) ٢٥٥/١.

(5) من وحي القرآن ٥٨.

﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ (الروم: ٤٦) والحجة لمن اسكن الشين في الوجهين: انه كره الجمع بين ضمتين متواليتين فأسكن تخفيفا[١].

كما أشار السامرائي[٢] إلى قراءة علي بن أبي طالب في قوله تعالى: ﴿وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ۝٢٩﴾ (الواقعة: ٢٩) إذ قرأها (وطلع منضود) بالعين، "ودلالة الطلع غير دلالة الطلح، فالطلع هو طلع النخل والطلح ضرب من الشجر، لكن نسبة القراءة إلى علي ابن أبي طالب تكسبها علواً ومكانة"[٣].

تخفيف الهمزة:

ظاهرة صوتية يلجأ إليها بسبب ثقل الهمزة في النطق، قال سيبويه: "وتخفف الهمزة لبعد مخرجها، ولأنها نبرة في الصدر تخرج باجتهاد وهي أبعد الحروف مخرجاً فثقل عليهم ذلك"[٤] وربما لهذا يكون النطق من أشق العمليات الصوتية[5] ولذلك تخفف في النطق وقد مالت بعض اللهجات إلى تخفيف الهمزة غير أن هذا التخفيف لم يكن ملتزما فيها، لان ذلك تتحكم فيه ظروف المجتمع والبيئة داخل القبيلة الواحدة[٦] وتكاد تجمع الروايات على أن التزام الهمز وتحقيقه من خصائص قبيلة تميم في حين أن القرشيين يتخلصون منها بحذفها أو تسهيلها أو قلبها إلى حرف مد[٧] ويمكننا معالجة تخفيف الهمزة في ضوء ما ورد عند السامرائي في طائفة من القراءات التي وردت في مختصر ابن خالويه ومحتسب ابن جني. ويتم تخفيف الهمزة عن طريق الإبدال أو بتسهيلها ونطقها بين بين.

أما التخفيف بطريق الإبدال فيتم عن طريق إبدال الهمزة بحرف علة من جنس حركة الحرف الذي يسبقها فإن كانت الحركة فتحة أبدلت الهمزة ألفا، وان كانت كسرة أبدلت ياء وان كانت ضمة أبدلت واوا ويرجع السبب في إبدال الهمزة من هذه الأحرف وجود تشابه وتقارب بينهما وبين هذه الحروف فضلاً عن كون الهمزة صوتا شديداً والنطق بها يحتاج إلى مجهود عضلي ولتيسير هذا المجهود يبدل صوت الهمزة بأحد الأصوات التي لا تستلزم مجهودا عضلياً وهي أصوات المد واللين[٨].

(1) الحجة في القراءات السبع ١٥٧.
(2) من وحي القرآن ٥٣.
(3) م. ن ٥٣.
(4) الكتاب ٥٤٨/٣، وينظر: الإتقان في علوم القرآن: السيوطي ٩٨.
(5) في اللهجات العربية: إبراهيم أنيس ط٤، ٧٧.
(6) في اللهجات العربية، ط٤، ٧٧.
(7) م. ن ٧، وينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث ٣٠.
(8) ينظر: المباحث الصوتية والصرفية في تفسير النسفي (رسالة ماجستير) سراج علي عبيد السبعاوي إشراف. د. عبد الوهاب الكحلة، جامعة الموصل – كلية التربية ٢٠٠٤، ٤٢ – ٤٣.

أ. إبدال الهمزة واواً:

ورد هذا الإبدال في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ (الكهف: ١٠٦).

ذكر النسفي إن حمزة يقرأ بسكون الزاي والهمزة (هزءا) وان حفصاً يقرأ بإبدال الهمزة واواً، وقرأ غيرهم بضم الزاي والهمزة[1] ونجد أن (هزواً) أصلها (هزءاً) اذ الهمزة مفتوحة وقبلها ضم، فالغالب أن تبدل الهمزة واوا. وبهذه الطريقة تخلصت لهجات الحجاز من الهمزة[2].

وعلق السامرائي قائلاً: "ولا تسهل هذه الهمزة الا اضطراراً كأن تقع الكلمة في حشو الشعر وهمزها يقع في وزن البيت، أو أن تكون الهمزة غير مستحسنة من الناحية الصوتية كما في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا﴾ وقد وردت هذه الكلمة في إحدى عشرة آية مختلفة كلها بتسهيل الهمزة وهذا يعني إن التسهيل قد استحسن، ولعله أكرم وقعاً على الأذن من الكلمة ومن المعلوم إن القراءة بالهمز جائزة لأنها صحيحة في العربية[3].

ب. إبدال الهمزة ياء:

ورد عن العرب إبدال الهمزة من الياء وهذا ما قاله ابن جني "وقالوا: في أسنانِهِ ألل يريدون: يلل، فأبدلوا الياء همزة... وهمز بعضهم (الشّئمة) وهي الخليقة[4].

ومما أورده السامرائي من مختصر ابن خالويه قوله تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ﴾ (البقرة: ١٥٠). وذكر قراءة "ورش عن نافع: لِيلا" بغير همز وهو من باب تسهيل الهمز"[5]. وهذا ما أشار إليه سيبويه[6] اذ ذكر مواضع أبدال الهمزة ياء أن تأتي الهمزة مفتوحة وقبلها حرف مكسور وذلك نحو: المِئر – مير.

٢. تسهيل الهمزة بين بين:

وذلك بان تكون الهمزة متحركة وقبلها متحرك أيضاً على أن لا تكون مفتوحة وقبلها ضمة أو كسرة لأنها عندئذٍ ستبدل ولا ينطق بها همزة بين بين، ومعنى همزة بين بين أن

---

(1) ينظر: مدارك التنزيل وحقائق التأويل (تفسير النسفي) ٣٢/٣، والكشاف ٦٢٣.
(2) ينظر: في اللهجات العربية ٧٩.
(3) من وحي القرآن ٣٨ - ٣٩.
(4) سر صناعة الاعراب ٩٢/١.
(5) من وحي القرآن ٤٣.
(6) ينظر: الكتاب ٥٤٣/٣ – ٥٤٧.

ينطق بالهمزة بينها وبين الحركة، فان كانت مثلاً مفتوحة وقبلها مفتوح نطقت بـين الهمـزة والإلف وان كانت مضمومة وقبلها ضمة نطقت بين الهمزة والواو وان كانت مكسورة وقبلهـا مكسور نطقت بين الهمزة والياء[1].

وقد وصف القدماء[2] هذه الهمزة بأنها "صوت ساكن ولكنه ضعيف غير متمكن وهي برغم هذا تقع موقع المحققة وهي بزنتها ويطلقون عليها أيضاً: الهمـزة المـسهلة والمليئـة والمقصود دائما تخفيف نطقها"[3].

أما المحدثون فقد فسروا مصطلح بين بين بأنه "عبارة عن سقوط الهمزة من الكـلام، تاركة حركة وراءها فالذي نسمعه حينئذٍ لا يمت إلى الهمزة بصلة، بل هو صوت لين قـصير يسمى عادة حركة الهمزة، من فتحة وضمة أو كسرة، ويترتب على هذا النطق التقاء صـوتي لين قصيرين"[4].

وهذا الاختلاف بين همزة بين بين والهمزة المحققة يتبعها اختلاف آخر في مخرجها. إذ إن همزة بين بين ليس مخرجها أقصى الحلق كما هو الحال في الهمزة الأصلية – بل "فـي الموضع الواقع بين الحلق وجوف الفم لذلك يطلق عليها بين بين أي بين الحـروف الحلقيـة والحروف الجوفية (اوى) وصوت هذه الهمزة ضعيف جداً... ومن الصعب جداً وصـفه"[5]. وقد خففت الهمزة بنطقها بين بين في مواضع أوردها السامرائي[6] من مختصر ابن خالويه.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (البقـرة: ١٤٣). قرأ الزهري "لروفٌ خفيف وزن (رعفٌ) بغير همز لَرُوفٌ بإسكان الواو عنه أيضاً"[7].

وأورد ابن جني[8] قراءة الزهري (لَرؤوف) وقراءة المصحف (لَرُوف) فقـد خففـت الهمزة "فلما أخفاها التخفيف ظنت واوا للطف هذا الموضع أن تضبطه القراء، وذلـك انّـا لا نعرف في غير هذه اللفظة إلاّ الهمز. يقال رؤف به، ورأف به ورئِف، ولم نسمع فيـه راف ولا رفتُ، والهمزة إذا خففت في نحو هذا لم تبدل وإنما تخفى كقولك في سئول، فَعـول مـن سألت سوول" أي تنطق همزة بين بين.

---

(1) ينظر: الكتاب ٥٤٢/٣، في الأصوات اللغوية. دراسة لأصوات المد. غالب ألمطلبي ٢٧٦ – ٢٧٧.
(2) الكتاب ٤٣٤/٤.
(3) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث: عبد الصبور شاهين ١٠٥.
(4) الأصوات اللغوية: إبراهيم أنيس ٩١، وينظر الظواهر اللغوية في قراءة الحجاز: صاحب ابو جناح ١٧.
(5) اللهجات العربية في التراث ٣٢٣/١.
(6) من وحي القرآن ٤٣.
(7) مختصر في شواذ القراءات ١٠.
(8) المحتسب ١١٤/١.

وتأمل السامرائي قوله تعـالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾ (البقرة: ٦٢).

وأورد ما جاء في مختصر ابن خالويه قراءة عبد الرحمن الأعرج "والصابيين بكـسر الياء من غير همز"[١].

وأورد ابن عاشور قراءة الجمهور (والصابئين) بهمزة بعد الوحدة على صيغة جمـع صابئ بهمزة في آخره وعلل هذه القراءة بقوله: "فالصابئون لعله جمع صابئ، وصابئ لعلـه اسم فاعل صبأ مهموز أي ظهر وطلع، يقال: صبا النجم أي طلع وليس هو من صبا يصبو إذا مال لان قراءة الهمز تدل على إن ترك تخفيف الهمز في غيرها تخفيف لان الأصـل تواف ـق القراءات في المعنى"[٢].

وقرأه نافع بياء ساكنة بعد الموحدة على انه جمع صاب منقوصا مثل رام على انه اسم فاعل من صبا يصبو أذا مال، قالوا لان أهل هذا الدين مالوا عن كل دين إلـى ديـن عبـادة النجوم، وعلل ابن عاشور قراءة التخفيف عند نافع اذ قال: "انما خفف نـافع همـز الـصابين فجعلها ياء... ومثل هذا التخفيف سماعي لأنه لا موجب لتخفيف الهمز المتحرك بعد حـرف متحرك"[٣].

ووقف السامرائي[٤] عند قوله تعـالى: ﴿وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ﴾ (النـساء: ١٠٢). وأورد ما جاء في مختصر ابن خالويه رواية القاسم بن عبد الرحمن عن ابن كثير انـه قـرأ (طايفة) بالياء لا الهمز. ورأى أن العدول عن الهمز إلى الياء في أسماء الفاعلين مـن الفعـل الأجوف من خصائص اللهجات الدارجة.

وعلل ابن جني همز عين فاعل من الأجوف قائلاً: "لان العين كانت قد اعتلّت فانقلبت في قام وباع ألفا فلما جئت إلى اسم الفاعل وهو على فاعل صارت قبل عينـه ألـف فاعـل، والعين قد كانت قد انقلبت ألفا في الماضي فالتقت في اسم الفاعل ألفان.. فلـم يجـز حـذف احداهما فيعود إلى لفظ قام – فحركت الثانية التي هي عين... فانقلبت همزة..."[٥].

وقد فصل القول في هذه المسالة الدكتور حسام سعيد ألنعيمي[٦].

---

(1) مختصر في شواذ القراءات ٦.
(2) التحرير والتنوير ٥٣٣/١.
(3) التحرير والتنوير ٥٣٣/١.
(4) من وحي القرآن ٤٤.
(5) المصنف ٢٨٠/١ – ٢٨١.
(6) الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني ٣٦٢ – ٣٦٣.

الإدغام:

هو "تقريب صوت من صوت"[١] وسبب هذا التقريب السعي إلى التخفيف وتقليل الجهد في نطق الصوتين الصحيحين حتى ينطق بهما في موضع واحد بدلاً من موضعين. وذلك لان اللسان إذا نطق الحرفين من مخرج واحد كان أسهل عليه في النطق من مخرجين مختلفين، ولا يتم هذا التقريب والإدغام إلاّ إذا كان بين هذين الصوتين تقارب أو تماثل من حيث المخرج أو الصفة أو كلاهما فإذا اتفق الصوتان مخرجا وصفه كان هذا من إدغام المتماثلين، وإذا اتفقا في المخرج واختلفا في الصفة كان من إدغام المتجانسين أما إدغام المتقاربين فهو ما تقارب فيه الصوتان في المخرج أو الصفة[٢] وإذا ادغم الأول في الثاني سمي الإدغام المقبل وإذا ادغم الثاني في الأول سمي الإدغام المدبر[٣] ومن أمثلة ذلك: قوله تعالى: ﴿ يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَـٰرَهُمْ ﴾(البقرة: ٢٠).

أورد السامرائي[٤] القراءة المشهورة بفتح الطاء الا أن الأعمش وهو من كبار القراء قرأ (يِخِطِّف) بكسر الياء والخاء والطاء وتشديدها كما جاء في مختصر ابن خالويه، وأشار السامرائي إلى إن مجئ القراءة بهذا الشكل الغريب يزود الدارس ببناء من أبنية الأفعال لا تعرفه العربية وأورد أيضا قراءة (يخَطّف) بفتح الياء والخاء وكسر الطاء وتشديدها وعدها غريبة أيضا (ويخِّطف أصلها (يختطف) (فأثّر إدغام التاء لأنها من مخرج واحد، ولان التاء مهموسة والطاء مجهورة، ومتى كان الإدغام يقوى الحروف المدغم حسن ذلك... فاسكن التاء لا دغامها والخاء قبلها ساكنة فنقلت الحركة إليها وقلبت التاء طاء وأدغمت في الطاء[٥] كما ذكر السامرائي حكاية الفراء عن بعضهم هذا أكثر من واحد وهو وان كان واحد فلا بد أن يكون قد نطق بلغة بيئته ومن خالطهم من أهله وعشيرته، وذكر السامرائي ان قراءة الفراء وهو "رأس أهل الكوفة في النحو واللغة ومن المعنيين بالقرآن ذات قيمة تاريخية كبيرة وهو بناء غريب بعيد عن فصيح العربية"[٦].

كما أشار السامرائي إلى قراءة أهل المدينة (يخْطّف) بإسكان الخاء والتشديد في الطاء مع كسرها، وعد هذا البناء من اغرب الأبنية لصعوبة نطقه وان نسبة هذه القراءة لأهل المدينة تعتمد شيئا يند عن قراءة نافع[٧] ووجه الفراء هذه القراءة (يخطِّف) بقوله:

(1) الخصائص ١٤١/٢.
(2) ينظر: الدراسات الصوتية عند علماء التجويد: د. غانم قدوري ٣٩٦.
(3) ينظر: التطور النحوي للغة العربية: برجشترِاسر ٢٩ – ٣٠، والدراسات الصوتية عند علماء التجويد ٣٩٤.
(4) من وحي القرآن ٣٩ – ٤٠.
(5) المحتسب ٥٩/١.
(6) من وحي القرآن ٤٠.
(7) م. ن.

"وأما من جمع بين الساكنين فانه كمن بني على التبيان إلا انه إدغام خفي[1] فـالجمع بين الساكنين مانع من الإدغام التام في الحرف الثاني ولهذا وصفه بالخفي لعدم ظهور الإدغام الكامل كما في غيره فالفراء لم ينكر هذه القراءة ولكن وجهها توجيهاً صوتياً على انـه مـن الإدغام الخفي وان كان ظاهر اللفظ يوحي بانه بني على التبيان الإدغام.

ونقل السامرائي قراءة ابن محيصن (ثم أطّره) وتعليق ابن جني على القراءة في الآية القرآنية ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ﴾ (البقرة: ١٢٦) بان هذه القـراءة لغـة مرذولـة، وأورد الشاهد الشعري.

لما رأى أن لا دعه ولاشبَع مال إلى ارطاةِ حِقْفٍ فا طجِح

ويروى فاضطجع على الأصل وهو الأكثر والاقيس.

علق السامرائي بقوله: "أن يكون الشاهد قد صنع فيه فا ضطجح وضعا وكـذبا لأنـه روى أيضا على الوجه الصحيح؟ ومما يقوي هذا عندي إن هذا الإدغام غيـر معـروف ولا مسوغ وغير جار على طريقة العربية في اجتماع الأصوات[2].

وعلى الرغم مما ذكره ابن جني في لغة هذه القراءة فثمة وجه صوتي لوقوعها وهـو إن الضاد دون الطاء في القوة ثم انه أثقل على اللسان من الطاء، فلما اجتمع الضاد مع الطاء الذي كان في الأصل تاء ثم أبدل لمماثلة الضاد في اضتر فحسن للسان أن ينتقل إلى الأخـف عليه وهو الطاء[3].

ووقف السامرائي[4] عند قوله تعالى: ﴿يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا﴾ وأورد قـراءة عاصـم (أن يصلِحا) بتشديد الصاد وذكر تعليق ابن جني في المحتسب "أراد (يصطلحا) أي يفتعلا، فـآثر الإدغام فأبدل الطاء صاداً ثم ادغم فيها الصاد التي هي فاء فصارت يصلحا. ولم يجز أن تبدل الصاد طاء لما فيها من امتداد الصفير أن ترى أن كل واحد من الطاء وأختيها والظاء وأختيها يدغمن في الصاد وأختيها ولا يدغم واحدة منهن في واحد منهن فلذلك لم يجز (إلا أن يطلحا) وجاز يصلحا"[5] والظاهر من كلامه "إن صفة الصفير التي تحملها الصاد كانت سببا في ثبوت الصاد إزاء الطاء الأقوى منها، لان الصفير من السمات الصوتية الثابتـة فـلا تنمحـي فـي المماثلة والمجاورة"[6] وقد ذكر هذا سيبويه[7] وتبعه أبو حيان[8].

---

(1) معاني القرآن ١٨/١.
(2) من وحي القرآن ٥٧، وينظر: المحتسب ١٠٦/١.
(3) الرعاية لتجويد القرآن وتحقيق لفظ التلاوة: مكي القيسي ١٧٢.
(4) من وحي القرآن ٥٧.
(5) المحتسب ٢٠١/١.
(6) التوجيه الصوتي والصرفي للقراءات الشاذة في كتاب المحتسب. (رسالة ماجستير) عمر محمد عـوني. بإشراف د. حسن سليمان، جامعة الموصل – كلية التربية ١٩٩٩، ص ٢٦.
(7) الكتاب ٤٦٧/٤.
(8) ينظر: البحر المحيط ٣٦٣/٣.

الإتباع الحركي:

ينشأ الإتباع الحركي من تأثر الحركات بعضها ببعض[١] لخلق تـوازن حركـي فـي سلسلة الكلام فلذا سماه بعض المحدثين الانسجام الحركي[٢] أو المماثلة[٣].

والإتباع قد يكون في المتصل من الكلام أو المنفصل. وهو ظاهرة صوتية يحدث فيها الانسجام بين الحركات المتباينة في الكلمة الواحدة ويقع فيها تأثير إحـدى الحركـات علـى الحركات المجاورة لها. ويعد الإتباع الحركي نزوعا إلى تقليل الجهد المبذول وطريقـا مـن طرق التطور في الأصوات[٤].

ولم تغب هذه الظاهرة عن ملاحظة اللغويين القدامى ففسروها تفسيراً صوتيا لا يختلف كثيرا عن تفسير المحدثين فقد أشار سيبويه إلى هذه الظاهرة حينما فسر ميل لهجة تميم إلـى كسر الفاء في صيغة (فَعِيل وفَعِل) إذا كان ثانيه احد حروف الحلق فتقول تميم لِئـيم وشِـهيد ونِحيف كما قالت: لِعِب وشِهِد وضِحِك، وعزا ميل لهجة تميم إلى الإتباع في هذه الأمثلـة لان ذلك "اخف عليهم حيث كانت الكسرة تشبه الإلف فأرادوا أن يكون العمل من وجه واحد كمـا أنهم إذا ادغموا فإنما أرادوا أن يرفعوا ألسنتهم من موضع واحد"[٥].

وعالج ابن جني هذه الظاهرة في باب الإدغام الأصغر وهو تقريـب الحـرف مـن الحرف وإدناؤه منه من غير إدغام"[٦].

ومن ضروب هذا التقريب تقريب الحركة من الحركة مع حروف الحلق نحو: شِـعير وبِعير ورِغِيف.

قال ابن جني: "سمعت الشجري غير مرة يقول: زِئير الأسد يريد الزئير وحكى أبـو زيد عنهم: (الجنة لمن خاف وعيد الله)"[٧] وفي ضوء الظاهرة ذاتها عرض لأمثلة من قـولهم السلطان وهو منحدر الجبل وفي ضوء الإتباع الحركي فسر ابن جني قـراءة طلحـة ﴿رُطَبًا جَنِيًّا﴾ (مريم: ٢٥).

ومن المحدثين من عالج هذه الظاهرة ووضح معالمها هو الدكتور إبراهيم أنيس وفي ضوئها فسر خصائص اللهجات القديمة وعلل الميل إليها بأنه جنوح إلى الاقتصاد في الجهـد العضلي وسماها الانسجام بين أصوات اللين[٨].

---

(1) الكتاب ٢٥٥/٢.

(2) ينظر: في اللهجات العربية: ٩٦

(3) ينظر: اللهجات العربية في التراث ٢٦٦/١.

(4) ينظر: في اللهجات العربية: ٩٦.

(5) الكتاب ١٠٧/٤ – ١٠٨.

(6) الخصائص ١٤١/٢.

(7) م. ن ١٤٣/٢.

(8) في اللهجات العربية ٩٧.

ونسب إلى لهجة أسد أنها كانت تجنح إلى الإتباع الحركي وذلك متأت من كونها إحدى القبائل البدوية ولا يعني ذلك أن الإتباع الحركي وقف على لهجات البدو، بل قد يوجد في لهجات الحضر ولكن بنسبة اقل.

ومن أمثلة ما ذكره السامرائي[1] عن هذه الظاهرة ما أورده ابن خالويه في مختصره.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ﴾ (المائدة: ١).

ذكر ابن خالويه قراءة أبي السمال (بِهيمةُ) بكسر الباء. قال ابن خالويه: إذا كانت العين حرفا حلقيا فمن العرب من يتبع حركة العين فيقول: سِعير وبِعير ورِغِيف ورحيم وأنا شيخ ضِعِيف"[٢].

وعلّق السامرائي على هذه القراءة قائلاً: "إن كسر الفاء في فِعيل ظاهرة لغوية عامة في كثير من اللغات الدارجة في عصرنا فنقول: كِبير ونِظيف وسِمين ولكن لهذه الظاهرة شَواذ منها أننا نقول: "رحيم، ولعل ذلك جاء من آية البسملة ونقول: عتيق كل ذلك بفتح الفاء"[٣]. ولا ننسى أن الحاء في رحيم والعين في عتيق من أصوات الحلق وأصوات الحلق توافقها الفتحة لقربها منها أكثر من الكسرة.

ومن أمثلة ما ذكره السامرائي عن الإتباع ما جاء عن قراءة الحسن البصري ورؤية بن الحجاج: الحِمدِ لِلّهِ بكسر الحمد وتوجيه القراءة إن المجاورة سوغت هذا، كما اتبعت كسرة الدال لكسرة اللام جرى إتباع آخر من نوع آخر فقد قرأ إبراهيم بن أبي عبلة، الحمد لُلّه بضم الدال واللام[٤].

وقد شذذ ابن جني هاتين القراءتين واقر مخالفتهما القياس والاستعمال.

وعد السامرائي[٥] هذه القراءات الشاذة من الغرائب التي ابتعدت عنها العربية الفصيحة الموروثة عن قدامى اللغويين والنحاة[٦].

---

(1) من وحي القرآن ٤٥.
(2) مختصر من شواذ القراءات ٣١.
(3) من وحي القرآن ٤٥.
(4) م. ن ٣٧.
(5) ينظر: المحتسب ٣٧/١.
(6) من وحي القرآن ٣٧.

المحور الصرفي

التحويل في الصيغ الصرفية

ظاهرة صرفية تتمثل في استعمال صيغ على أوزان معينة مكان صيغ أخرى على أوزان تختلف عن الأولى لغاية معينة كأن تكون اختلافا لهجيا أو معنى معيناً يريد صاحبه التعبير عنه والعناية به أو ضرورة شعرية تلجئ الشاعر إلى استخدام صيغة بدلا من صيغة أخرى أكثر شيوعاً واستعمالاً(١).

تحويل صيغة الجمع فُعالى إلى فَعلى

أورد السامرائي القراءات التي وردت في شواذ سورة النساء: قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ ﴾ (النساء: ٤٣).

أورد السامرائي ما ورد من قراءات في مختصر ابن خالويه قائلا "وقرئت (سكْرى) ونسبت القراءة إلى الأعمش، وهو أمر غريب لان الكلمة ينبغي أن تكون جمعا وهي من أبنية جموع التكسير (فُعلى) وقرا إبراهيم (سكْرى) والقراءة غريبة لأنها مؤنث سكرا"(٢).

وفي قراءة ابن مسعود "وترى الناس سكرى وما هم بسكرى" (الحج: ٢) بحذف الألف بعد الكاف على زنة فَعلى وقراءة المصحف سكارى. أشار الفراء إلى ثلاثة أوجه عند قراءة سكرى. قال في الأول انه على صيغة (فَعلى) وهو وجه جيد في العربية لأنه بمنزلة الهلكى والجرحى، لان العرب تجمع على فَعلى ما كان على (فاعل وفعيل وفَعِل) إذا كان صاحبه كالمريض أو الصريع أو الجريح.

وجعلوا (الفعلى) علامة لجمع كل ذي زمانة أو ضرر أو هلاك دون أن يبالوا بمفرده أكان على فاعل أو فعيل أم فعلان"(٣).

بين اسم الفاعل والصفة المشبهة.

وقف السامرائي عند القراءات التي أوردها ابن خالويه في مختصره في قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا قُلُوبَهُمۡ قَٰسِيَةً ﴾ (المائدة: ١٣).

---

(1) ينظر: معاني الأبنية في العربية: فاضل السامرائي ١٨، ١٩ وظاهرة التحول في الصيغ الصرفية محمود سليمان ياقوت ١٠ – ١٢.

(2) من وحي القرآن ٤٤.

(3) التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القران ٢٠٧.

أورد رواية الضبي أن يحيى بن يعمر قرأ (قُسية) بضم القاف، وقرأ بعـضهم بكـسر القاف والسين[١].

وهذه الآية تشير إلى وجود اختلاف تصريفي وهذا الاختلاف أدى إلى اختلاف الدلالة. فقاسية اسم فاعل من (القسوة) وهو ضد اللين وقرأ حمزة والكسائي (قَسية) وخرجـت قـسِية تخريجين: ١. أنها فعلية من القسوة وهي على ذلك ابلغ في الذم من قاسيه لأنها صفة مـشبهة دالة على الثبات وأما اسم الفاعل فهو دال على الحدوث. ٢. أنها من قولهم درهم قَـسي أي مغشوش والمعنى أن قلوبهم ليست خالصة الإيمان. واختار الطبري قراءة حمـزة والكـسائي وإنها فعلية من القسوة فهي ابلغ في الذم ولم يرتض جعلها من قولهم درهم (قِسي) لان المعنى ليست بخالصة الإيمان والآية لا تدل على أن قلوبهم فيها إيمان يخالطه كفر بل إن الله وصفهم بنقض الميثاق والكفر بالله ولم يصفهم بشيء من الإيمان[٢].

القلب المكاني:

ظاهرة لغوية معروفة في كلام العرب قال ابن فارس: " ومن سنن العرب القلب وذلك يكون في الكلمة فقولهم: جذَب وجبذَ وبكَلَ ولَبك وهو كثير قد صنّفه علماء اللغة "[٣] وأول من أشار إلى هذه الظاهرة الخليل وسيبويه[٤] ونقل سيبويه عن الخليل القلب في مألـك ومـلأك[٥] ويقع القلب المكاني في كلام العرب" بغية التيسير وتحقيق نوع من الانسجام الصوتي"[٦].

أشار السامرائي عند تأمله القراءات الشاذة في مختصر ابن خالويه إلى هذه الظاهرة عند قوله تعالى: ﴿ مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ ﴾ (البقرة: ١٩) كما هي القراءات المـشهورة وقـرأ الحسن: من الصواقع "وهي لغة تميم وبعض ربيعة كما يقول النحـاس"[٧] وقـراءة النـاس: الصواعق وهو من القلب المكاني. وعلق السامرائي على هذه القراءة قائلاً: والصواقع جمـع صاقعة على القلب والقلب في العربية ظاهرة واضحة أفرد لها اللغويـون مـصنفات خاصـة

---

(1) من وحي القرآن ٤٥.

(2) ينظر: الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القران الكريم، فريد بن عبد العزيز الزامل الـسليم ٣٣١ – ٣٣٣.

(3) ألصاحبي في فقه اللغة ٢٠٢.

(4) الكتاب ١٨١/١، ٣٨٠/٤ – ٣٨١

(5) ينظر: الخصائص ٦٤/١، والمحتسب ١٤٤/١.

(6) دراسة الصوت اللغوي: احمد مختار عمر ٣٣٦، وينظر: اللهجات العربية في التراث ٦٤٧/٢.

(7) الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري: د. صاحب ابو جناح ١٥١، وينظر: اعراب القرآن/النحاس ١٤٤/١.

كقولهم جذب وجبذ، ومسرح ومرسح وهو كثير جداً. غير أن الراجح هو أن الكلمة لها صورة مشهورة عرفت بها وشاعت أما الصورة المقلوبة الأخرى فهي من اللغات الخاصة والدليل على ذلك أن القلب شائع في اللهجات العربية الحديثة بالنسبة إلى الكلمات الفصيحة"(1).

وأشار السامرائي إلى أن هذه القراءات ابتعدت عن البناء الفصيح عند وقوفه على القراءات الواردة في قوله تعالى: ﴿وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ (الأعراف: ١٦٥) منها قراءة عاصم "بعذابٍ بيئَسٍ" على وزن (فَيعل) وقرأ الزهري: "بعذابٍ بيس، مثل شين قرأ نصر بن عاصم بعذابٍ (بييس) بياءين(2) والذي يقترب من ظاهرة القلب المكاني قراءة عاصم (بيئَس) على وزن (فَيعل) وهو لغة في (بئيس). وعد السامرائي هذا من القراءات التي ابتعدت عن البناء الفصيح المثبت في الآية(3).

المصادر والمراجع

١. الكتب المطبوعة:

١. الإبدال، أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي (٣٥١ هـ) تحقيق ونشر: عز الدين التنوخي – مطبوعات المجمع العلمي العربي – دمشق – ج١ – ١٣٧٩ هـ - ١٩٦٠ م، ١٣٨٠ – ١٦٩١م.

٢. الإتقان في علوم القرآن – جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٩١١ هـ) – المكتبة الثقافية – بيروت – لبنان – ١٩٧٣.

٣. الأصوات اللغوية – إبراهيم أنيس – مصر – مكتبة الانجلو المصرية – ط٥، ١٩٧٥.

٤. إعراب القرآن – أبو جعفر احمد بن محمد بن إسماعيل النحاس (ت ٣٣٨ هـ) تح د. زهير غازي زاهد، ط٣، عالم الكتب – بيروت ١٩٨٩.

٥. إيضاح الوقف والابتداء – مكي بن أبي طالب – القاهرة – ١٩٦٠.

٦. البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي (ت ٧٥٤هـ)، دار الفكر للطباعة والنشر. ط٢، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٧. الترادف في القرآن الكريم بين النظرية والتطبيق، محمد نور الدين المنجد، دار الفكر المعاصر – بيروت – لبنان – دار الفكر – دمشق – سوريا – ط١ – ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م.

(1) من وحي القرآن ٣٩.

(2) م. ن ٤٨

(3) م. ن. وينظر: تفسير النسفي ١٢٠/٢ – ١٢١ وتنسب هذه القراءة لابن عباس والأعمش ينظر: المحتسب ٢٦٤/١.

٨. التطور النحوي للغة العربية. برجشتراسر – ترجمة – رمضان عبد التـواب – مـط المجد، دار الرفاعي – الرياض ١٩٨٢.

٩. التعريفات – أبو الحسن علي بن محمد بن علي المعروف بـ ـ الـشريف الجرجـاني (ت٨١٦ هـ)، الدار التونسية، تونس، ١٩٧١.

١٠. التوجيه اللغوي للقراءات القرآنية عند الفراء في معاني القران. د. طه صالح أمين أغا – ط١ – دار المعرفة – بيروت – لبنان ٢٠٠٧.

١١. الحجة في القراءات السبع، ابن خالويه (ت ٣٧٠ هـ) تحقيق وشرح عبد العـال سـالم مكرم – ط١، مؤسسة الرسالة ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

١٢. الخصائص – أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢ هـ) تح محمد علـي النجـار – ط٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب ودار الشؤون الثقافية، بغداد ١٩٩٠.

١٣. الخلاف التصريفي وأثره الدلالي في القرآن الكريم فريد بن عبد العزيز الزامل السليم، ط١، دار ابن الجوزي ١٤٢٧ هـ.

١٤. الدراسات الصوتية عند علماء التجويد. د. غانم قدوري وزارة الأوقـاف – بغـداد – ١٩٨٦.

١٥. الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني – د. حسام النعيمي – ط الثقافة والإعلام – الجمهورية العراقية ١٩٨٠.

١٦. دراسة الصوت اللغوي – احمد مختار عمر – عـالم الكتـب القـاهرة – ١٣٩٦ هـ - ١٩٧٦م

١٧. الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة بعلم مراتب الحروف ومخارجها وصـفاتها وألقابها وتفسير معانيها، وبيان الحركات التي تلزمها – أبو محمد مكي بن أبي طالـب القيسي تح: احمد حسن فرحات – دمشق، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م.

١٨. السبعة في القراءات – أبو بكر احمد بن موسى بن العباس بن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) تح: شوقي حنيف – ط٢.

١٩. سر صناعة الإعراب. أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ) تح: مـصطفى الـسقا – محمد الزفزاف – إبراهيم مصطفى عبد الله أمين – مط مصطفى ألبابي الحلبـي – ط مصر ١٩٥٤ م.

٢٠. شرح شافية ابن الحاجب – رضي الدين الاسترابادي (ت٦٨٦هـ) تـح: محمـد نـور الحسن- محمد الزفزاف – محمد محي الدين عبد الحميـد – دار الكتـب العلميـة – بيروت – لبنان – ٢٠٠٧م.

٢١. شرح المفصل – موفق الدين ابن يعيش النحوي (ت٦٤٣هـ) مكتبة المثنى – القاهرة – (د- ت).

٢٢. ألصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها: أبـو الحـسن احمـد بـن فـارس (ت٣٩٥هـ)، تح مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة ١٣٨٢هـ - ١٩٦٨م.
٢٣. ظاهرة التحويل في الصيغ الصرفية – محمود سليمان ياقوت – دار المعرفة الجامعيـة – الإسكندرية – ١٩٨٥ م.
٢٤. الظواهر اللغوية في قراءة الحسن البصري د. صاحب أبو جناح – ط مركز دراسـات الخليج العربي بجامعة البصرة، ١٩٨٥م.
٢٥. فتح الباري شرح صحيح البخاري، ابن حجر العسقلاني (ت٨٥٢هـ)، مط البابي الحلبي – مصر - ١٣٧٨هـ - ١٩٥٩م.
٢٦. في اللهجات العربية – إبراهيم أنيس – مكتبة الانجلـو المـصرية – القـاهرة – ط٤ ١٩٧٣م
٢٧. القراءات القرآنية بين الدرس الصوتي القديم والحديث – مي فاضل الجبـوري – دار الشؤون الثقافية – ط١ – بغداد ٢٠٠٠م.
٢٨. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث. د. عبد الصبور شاهين – ط١ – مكتبة الخانجي – القاهرة ١٩٦٦م.
٢٩. الكتاب: سيبويه أبو بشر عمر وبن عثمان (ت١٨٠ هـ) تح. عبد السلام محمد هارون – عالم الكتب – بيروت – د.ت.
٣٠. الكشف عن وجوه القراءات السبع – مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تـح. د. محمد محي الدين رمضان – مطبوعات مجمع اللغة العربية – دمشق.
٣١. لسان العرب – أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت٧١١هـ) – ط١- دار الكتب العلمية – بيروت ٢٠٠٥م.
٣٢. لهجات العرب في القرآن الكريم – دراسة استقراطية تحليلية، عبد الله عبـد الناصـر جبري – ط١ – لبنان ٢٠٠٧م.

٢. الرسائل الجامعية.

١. التوجيه الصوتي والصرفي للقراءات الشاذة في كتاب المحتسب لابن جنـي (ت٣٩٢هـ) رسالة ماجستير – عمر محمد عوني ألنعيمي – إشراف د. حـسن سـليمان حـسين – جامعة الموصل – كلية التربية – ١٩٩٠م.
٢. المباحث الصوتية والصرفية في تفسير النسفي المسمى مدارك التنزيل وحقائق التأويل – رسالة ماجستير – سراج علي عبيد السبعاوي – إشراف د. عبد الوهاب محمود الكحلـة – جامعة الموصل – كلية التربية ٢٠٠٤م.

٣. المصاقبة في القرآن الكريم – رسالة ماجستير – يمامة محمد عبد الكـريم كـشمولة – إشراف د. هاني صبري علي – جامعة الموصل – كلية التربية ٢٠٠٩م.

٣. الندوات والدوريات.

١. الندوة المتخصصة الأولى (أبو الفتح عثمان بن جني) جامعة الموصل – كلية التربيـة– قسم اللغة العربية ١٩٨٩م – بحث. د. جايد زيدان مخلف (القراءات القرآنية عند ابـن جني)

٢. مجلة المورد - مج ٢٩، ع٤ – ٢٠٠١م.، ص٤٦، بحث: القراءات القرآنية الشاذة فـي (غريب القرآن) للسجستاني. د. صالح مهدي عباس.